النسر المهيض

للأستاذ محمود الخفيف

بعد الهزيمة

حُلْمُكَ القَيْصَرِيُّ كَيْفَ تَقَضَّى ... أَيُّهَا النَّاهِمُ المُلَقَّى الهَوَانَا ؟
ضَاقَ عَنْكَ الفَضَاءُ طولاً وَعَرْضا ... وَتَعَالَيْتَ لَسْتَ تَحْفِلُ بُغْضَا
لاَ وَلاَ كُنْتَ أَمْسِ تَحْفِلُ حُبّا
لِبَنِي الطِّينِ ، أَوْ تَهَابُ الزَّمَانَا
كُنْتَ بالأَمْسِ الامبراطورَ تُدْعَى ... بَعْدَ نَعْتٍ بالكَرْسِكِيِّ الصَّغِيرِ
تَتَهَاوَى أَلْقَابُ مَجْدِكَ صَرْعَى ... وَتَرَى مَنْ وَالَوْكَ كَرْهاً وَطَوْعَا
بَيْنَ رَاثٍ وَشَامِتٍ يَتَشَفَّى
فِي مَصِيرٍ مَا مِثْلُهُ مِنْ مَصِيرِ !
لَمْ تَرَ الأَرْضُ مِثْلَ عُقْبَاكَ عُقْبَى ... هَلْ رَأَتْ مِثْلَ مَا بَلَغْتَ ارْتِقَاءَ ؟
نِلْتَ مَا نِلْتَ مِنْ زَمَانِكَ غَصْبَا ... لَمْ تَجِدْ فِي الحَيَاةِ سَهْلاً وَصَعْبَا
ثُمَّ حَلَّقْتَ تَبْتَغِي غَيْرَ وَانٍ
أَيُّهَا النَّسْرُ ، أَنْ تَنَالَ السَّمَاءَ !

قُضِيَ الأَمْرُ ! هَلْ رَضِيتَ القَضَاءَ ... أَيُّهَا اللاَّغِبُ المَهِيضُ الجَنَاحِ !
كَيْفَ تَرْضَى وَمَا عَرَفْتَ الرِّضَاءَ ... مَرَّةً أَمْسِ أَوْ عَدِمْتَ الرَّجَاءَ
أَيُّهَا الوَاجِمُ العَبُوسُ تَلاَشَتْ
خُدَعُ الحُلْمِ فِي يَقِينِ الصَّبَاحِ
قَدْ تَزَيَّدْتَ فِي غُرُورِكَ حَتَّى ... كِدْتَ تُنْمَى لِغَيْرِ هَذَا الوُجُودِ !
وَتَأَنَّى مِنْ زُورِهِ مَا تَأَنَّى ... فَتَغَابَيْتَ فِي مَوَاطِنَ شَتَّى
لَشَجَانِي بِرَغْمِ ذَلِكَ مَرْأَى
شَبَحِ الذُّلِّ فِي العُقَابِ الصَّيُودِ !
تَصِفُ العَيْنُ فِي مُحَيَّاكَ خَوْفاً ... وَابْتِئَاساً وَذِلَّةً وَانْكِسَارَا
لاَ يُوَفِّيكَ غَيْرُ مَرْآكَ وَصْفاً ... عُدْتَ كَالنَّاسِ بَلْ لَقَدْ زِدْتَ ضَعْفَا
لَيْتَ شِعْرِي يَا مَنْ هَزَمْتَ المَنَايَا
كَيْفَ تَحْيَا ؟ هَلْ تَسْتَطِيعُ اصْطِبَارَا ؟
بَهَرَ النَّاسَ فِي صُعُودِكَ بَرْقٌ ... لَمْ يَرَوْا فِي سَنَاهُ مِنْكَ العُيُوبَا
كُلُّ إِفْنٍ أَرَدْتَهُ فَهْوَ حَقٌّ ... وَتَحَدَّى الزَّمَانَ عِنْدَكَ سَبْقٌ
تَشْفَقُ العَيْنُ أَنْ تَرَى الشَّمْسَ حَتَّى
تَتَرَاءَى لَهَا تُرِيدُ الغُرُوبَا
كَمْ تَرَى العَيْنُ فِي غُرُورِكَ مِمَّا ... يَمْلأُ القَلْبَ مِنْ شَتِيتِ المَعَانِي
أَنْتَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَنِي الأَرْضِ مِنْهَا ... مَلَأَتْكَ الحَيَاةُ وَهْماً وَعَزْمَا !
عَبْقَرِيَّ الحُرُوبِ ، كَمْ كُنْتَ تَبْدُو
أَمْسِ كَالطِّفْلِ أَطْمَعَتْهُ الأَمَانِي !
رُحْتَ كَالطِّفْلِ لاَعِباً بِالمُرُوشِ ... لَعِباً حَارَ جُنْدُ عَرْشِكَ فِيهِ !
النَّجِيعُ الصَّبِيبُ أَبْهَى النُّقُوشِ ... وَالدُّمَى مِنْ أَسِرَّةٍ وَعُرُوشِ
كُرَةُ الأَرْضِ بَيْنَ رِجْلَيْكَ حَيْرَى
وَالمَنَايَا تَجْرِي بِمَا تَشْتَهِيهِ
وَيْكَ ! قَدْ كُنْتَ كَالشِّهَابِ التِّمَاعَا ... وَسَنَاءً وَرَوْعَةً وَانْطِلاَقَا
كُلَّمَا زَادَ فِي السَّمَاءِ ارْتِفَاعَا ... وَتَبَدَّى لِلْعَيْنِ أَبْهَى شُعَاعَا
وَمَضَى يَخْطَفُ العُيُونَ سَنَاهُ
لَمْ يَزِدْهُ المَضَاءُ إِلاَّ احْتِرَاقَا